المفردة القرآنية في آيات الخلق والتكوين من حيث دقة الاختيار

Quranic vocabulary in the verses of creation and composition in terms of accuracy of choice

رضوان مادينج، جامعة الملك سعود بالرياض
محمد زكي نيتيموه، جامعة راجابت جالا
فريد عاوي، جامعة راجابت جالا

الملخص

تميزت ألفاظ القرآن الكريم بأنها منتقاة بعناية من قِبل الخالق سبحانه وتعالى؛ للتعبير عن المعنى المراد تعبيراً دقيقاً. ويؤكد القرآن ذاته في بعض آياته على أهمية اختيار الكلمة المناسبة للمعنى المناسب؛ لذلك نجده يبدع في اختيار ألفاظه غاية الإبداع للتعبير عن المعاني المراد تبيانها، حتى قيل إن الكلمة في القرآن كأنها خلقت من أجل المكان الذي جاءت فيه، ولا تستطيع كلمة أخرى أن تؤدي المعنى أداءً وافيًا مهما اقترب معناها من الكلمة الأصلية. وسنلحظ تنوع أساليب القرآن في انتقاء هذه المفردات. وهذه الورقة ما هي إلا محاولة للكشف عن سر من أسرار نظم القرآن من خلال الوقوف على المعاني الدقيقة المفردات المتعلقة بآيات الخلق والتكوين؛ للوصول إلى سر من أسرار اختيار التعبير القرآني لها في السياق الذي وردت فيه، وسر إيثارها على غيرها من المفردات الأخرى التي تقاربها في المعني مع عدم وجود ارتباط فيما بينها في أصولها اللغوية أو التي تتفق في بعض الحروف والأصوات أو التي هي من جذر واحد مع اختلاف صيغها.

الكلمات المفتاحية: المفردة القرآنية، آيات الخلق، آيات التكوين

Abstract

The words of the Qur'an were characterized by being carefully selected by the Almighty Creator to express the meaning to be accurately expressed. The Qur'an itself emphasizes in some of its verses the importance of choosing the right word for the right meaning; therefore, we find it creative in the choice of words very creative to express the meanings to be clarified, even said that the word in the Koran as if created for the place where it came, and no other word can perform the meaning Adequate performance no matter how close to the original word. We will note the diversity of methods of the Qur'an in the selection of these vocabularies. This paper is but an attempt to reveal the mystery of the secrets of the Qur'an expression by standing on the meanings of the vocabulary related to the verses of creation and composition; to reach a secret of the selection of the Qur'an expression in the context in which it was received, and the secret of its impact on other vocabulary similar to it in Concerned with no correlation between them in their linguistic origins or that agree in some letters and sounds or that are from one root with different formulas

Keywords: Quranic vocabulary, the verses of creation, the verses of composition

مقدمة

يظل القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو معين لا تنضب مادته، ولا يجف زاده، ولا تنتهي عجائبه. والبحث فيه، والتدبر في آياته، وإعمال الفكر في فهم مراميه لهو من أجل العمل وأشرفه. تعددت وجوه إعجازه، وتنوعت أساليب بلاغته، وانفرد أسلوب نظمه، وتنوعت موضوعاته وتعددت قضاياه، يتجدد عطاؤه من جيل إلى جيل، ومن زمن إلى زمن؛ حتى شغف العلماء والدارسون بالاشتغال في استنباط مكنونات سره.

وقد تميزت ألفاظ القرآن الكريم بأنها منتقاة بعناية من قِبل الخالق سبحانه وتعالى؛ للتعبير عن المعنى المراد تعبيراً دقيقاً. ويؤكد القرآن ذاته في بعض آياته على أهمية اختيار الكلمة المناسبة للمعنى المناسب؛ لذلك نجده يبدع في اختيار ألفاظه غاية الإبداع للتعبير عن المعاني المراد تبيانها، حتى قيل إن الكلمة في القرآن كأنها خلقت من أجل المكان الذي جاءت فيه، ولا تستطيع كلمة أخرى أن تؤدي معناه أداءً وافيًا مهما اقترب إلى معنى الكلمة الأصلية.

وما هذه الورقة إلا محاولة للكشف عن جانب من أسرار نظم القرآن من خلال الوقوف على المعاني الدقيقة لبعض المفردات المتعلقة بآيات الخلق والتكوين؛ من أجل معرفة بعض من جوانب إعجاز القرآن العظيم في قضية تعد من أهم القضايا التي تشغل العلم الحديث، وسر إيثارها على غيرها من المفردات الأخرى .

وتكمن مشكلة البحث في قلة الدراسة في الجانب البلاغي للقرآن الكريم في هذه البقعة من العالم الإسلامي، إلى جانب أن هناك ألفاظًا كثيرة في آيات الخلق والتكوين جديرة بأن تحظى للمزيد من الدراسة البيانية المعمقة، سيما أنها تعالج قضايا لها صلة عميقة بالعلوم الكونية القابلة للدراسة والبحث والتحليل العلمي، وأن الدراسات التي تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن كثيرًا ما تعول على الدراسات البلاغية للقرآن الكريم في الاستنارة بها في معالجة قضاياها المتعلقة بالجانب العلمي في القرآن.

هدف البحث

السعي للكشف عن سر من أسرار هذا النظم المعجز من خلال الوقوف على المعاني الدقيقة للمفردات للوصول إلى سر من أسرار اختيار التعبير القرآني لها في الآيات المتعلقة بالخلق والتكوين، وسر إيثارها على غيرها من المفردات الأخرى التي تقاربها في المعني مع عدم وجود ارتباط

فيما بينها في أصولها اللغوية أو التي تتفق في بعض الحروف والأصوات أو التي هي من جذر واحد مع اختلاف صيغها.

لفظ الخلق ومرادفاتها

ثمة مفردات عدة تحمل معنى الخلق من جملة ما تحملها من معان، حضرت في كثير من المواضع ونصوص الآيات القرآنية المتعلقة بالخلق والتكوين؛ من بين هذه المفردات: جعل، أنشأ، فطر، صنع، ذرأ، برأ. وقد اخترنا منها ثلاث نماذج لهذه المفردات لتبيان أدق الفروق المعنوية فيما بينها وبين لفظ (خلق) ، وهذه الألفاظ هي: جعل وأنشاء وفطر، لكثرة ورودها في القرآن ولشدة التشابه بين معانيها المعجمية. وقبل أن نعرج إلى ثنايا البحث، حريٌّ بنا أن نقف على معاني الخلق في المعاجم وفي كتب التفاسير ليتسنى لنا معرفة الفروق المعنوية الدقيقة بينه وبين الألفاظ الأخرى التي تقاربه في المعنى.

معنى الخلق

تشير المعاجم اللغوية إلى أن أصل معنى الخلق يدور حول معاني الإنشاء والتقدير والابتداع. "فالخلق في كلام العرب على وجهين: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق... قال تعالى:﴿...**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**... ﴾(الأنعام:1)، أي: أبدعهما، بدلالة ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**...﴾(**البقرة:117**)، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو﴿...**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**...﴾(النساء:1)"[78]. والمقصود بالتقدير، كأن "يقال: خلقت الأديم إذا قدرته خُفًّا أو غيره"[79] أو " كالبناء، مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لابد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها.."[80].

---

[78] الأصفهاني: الراغب(ت502هـ)، ***المفردات في غريب القرآن***، د ط، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة، د ت، ص: 209.

[79] العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، 136

[80] الغزالي، أبو حامد محمد (ت 505هـ) ، ***المقصد الأسني في شرح معاني الأسماء الحسنى***، دار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، 76.

وقد وردت مادة (خلق) المتعلق بهذا المعنى في القرآن الكريم مع كافة مشتقاتها الإسمية والفعلية وتركيباتها مع مختلف الضمائر حوالي مائتين واثنتين وخمسين مرة في كل مواضع الذكر الحكيم.

الخلق والجعل

يعد (جعل) من أكثر الألفاظ وروداً في النصوص المتعلقة بالخلق والكون، وتدور معانيه في كتب المعاجم حول معاني الخلق والصنع، والتصيير، والإيجاد، والإنشاء. وفي المقابل، يأتي بمعنى التسمية والتبيين والتشريف والتبديل والحكم الشرعي والتحكم البدعي[81].

ويذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته أن(جعل) "لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فَعَلَ وصَنَعَ وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه، فمنه ما يجري مجرى صار وطفق، فلا يتعدى، نحو: جعل زيد يقول كذا[82]..، ومنه ما يجري مجرى أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى:﴿.. **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**.. ﴾.. ومنه ما يأتي بمعنى إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**.. ﴾(72 النحل). ومنه ما يجيء في معنى تصيير الشيء على حالة دون حالة، نحو: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا**.. ﴾(22 البقرة). أما الأخير فهو بمعنى الحكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً، فأما الحق فنحو قوله تعالى: ﴿.. **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**.. ﴾(القصص:7)، وأما الباطل فنحو: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا**.. ﴾(136 الأنعام)...[83].

أما فيما يخص الفرق بينه وبين(خَلَقَ) فيرى الزمخشري:"أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان؛ من ذلك ﴿...**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**...﴾(الأعراف:189)،﴿...**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ**

[81] انظر: الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ)، ***القاموس المحيط***، د ط، تحقيق: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث- القاهرة، 1429هـ- 2008م، ص: 275-276

[82] وهو ما"يدل على الاتصال" عند العسكري. انظر: ***الفروق اللغوية***، ص: 136.

[83] انظر: الأصفهاني، ***مفردات ألفاظ القرآن، ص:*** 196-197.

وَالنُّورَ...(الأنعام:1)،﴿... **ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا**...﴾(11 فاطر).."[84]. والتضمين هو:"جعل شيء في ضمن شيء بأن يحصل منه أو يصير إياه أو ينقل منه إليه"[85]. ويفهم من ذلك أن(الجعل)" هو خلقٌ لوظيفة الأشياء، الله خلق الأرض، ووظيفتها أنه جعلها بساطا﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا**﴾(نوح:19) و﴿.. **جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**..﴾(يونس:5) ﴿..**جَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا**..﴾ (النحل:80)، فكلمة(جعل) تعني خلقاً، ولكنْ خلق لوظائف المخلوقات، وحينئذ كل شيء خلقه لكي يكون وظيفة لمخلوق آخر.."[86].

وبتتبع المواضع التي جاء فيها لفظة(جعل) في الآيات المتعلقة بالخلق والتكوين، نلحظ أن التعبير القرآني يغلب عليه استعمال الفعل(جعل) في مراحل الخلق التي تتبع مراحل الخلق الأولى، أو المراحل التالية من الخلق الأول"أو التي نشأت عن الأصول الأولى"[87]، مثل: قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً** ﴾(البقرة:23). إذ أن المراحل الأولى من الخلق، أو ما يعبر عنها الأصول الأولى من الخلق، مثل: خلْق السماوات والأرض، وأصل خلْق الإنسان، لا تجيء إلا مع الفعل (خلق)، مثل قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾(الأنعام:73).

ومما تقدم، يبدو لنا أن لفظ (الجعل) لا يدل عند إطلاقه على الخلق بقدر ما يفيد معنى الصيرورة[88]، مثلما نقرأ–مثلاً–إيثار الفعل(خلق) مع الزوج الأنثى في قوله تعالى في سورة النساء:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**.. ﴾(النساء:1)، ثم نقرأ في آية أخرى مشابهة لها إيثار الفعل(جعل) مع الزوج الأنثى، وهي قوله تعالى﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾(الأعراف:189). ولكن يبدو أن

---

[84] الزمخشري، محمود بن عمر(ت538هـ)، ***تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل***، ط3، دار المعرفة– بيروت، 1430هـ–2009م ، ص: 318.

[85] القوجوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى(915هـ)، ***حاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي***، ط1، دار الكتب العلمية– بيروت، 1419هـ–1999م،4| 5.

[86] انظر: القنيعير، حسناء عبدالعزيز، ***الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ المتشابهة من خلال القرآن الكريم***، مقالة، جريدة الرياض، العدد: 16022، الأحد 15 جمادى الآخرة 1433هـ– 6 مايو 2012.

[87] الغيلي، عبد المجيد بن محمد علي، ***من أفعال الخلق في القرآن الكريم***، منشور على موقع المؤلف (رحى الحرف)، 1434هـ–2013م، ص: 181.

[88] انظر المرجع السابق: 181

إيثار القرآن استعمال الفعل (خلق) في آية النساء؛" لأن هذه الآية تتحدث عن بداية خلق آدم عليه السلام، وخلق حواء من ضلعه، فناسب هنا استخدام لفظ(الخلق) للدلالة على الأولية المقصودة"[89]، ومن ثَمّ، فإن النفس الواحدة المذكورة في الآية هي" آدم، والزوج: حواء، فإن حواء أخرجت من آدم من ضلعه"[90].

أما استخدام الفعل(جعل) في آية الأعراف مع الزوج الأنثى؛ فـ"لأن سياق هذه الآية في معنى غير معنى الأولية والبداية، وهو ذِكر ما بين الرجل والمرأة من سكن ورحمة وميل غريزي، فناسب ذلك التعبير بالفعل (جعل)، بمعنى: صيره وهيأ"[91]، ولذلك"عبّر في جانب الأنثى بفعل(جعل)؛ لأن المقصود جعل الأنثى زوجاً للذكر، لا الاخبار عن كون الله خلقهما"[92].

الخلق والإنشاء

"النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسمو، ونشأ السحاب: ارتفع، وأنشأه الله: رفعه.. ومن الباب: النشء والنشأ(النشوء): أحداث الناس.. والناشيء: الشاب الذي نشأ وارتفع وعلا"[93]. قال تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾ (12:الرعد). وفي اللسان:" أنشأه الله: خلقه، "[94]. ويتضمن الإنشاء أيضًا معنى الإحداث والتربية، فـ"النشء والنشأة: إحداث الشيء وتربيته، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ**

---

[89] داود، محمد محمد، معجم ***الفروق الدلالية في القرآن الكريم***، د ط، دارغريب للطباعة- القاهرة، 2008م، 183.

[90] ابن عاشور، محمد الطاهر(ت1393هـ)، ***تفسير التحرير والتنوير*** ،د ط، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م، 4| 215.

[91] داود، محمد محمد، ***معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم***، د ط، دار غريب للطباعة- القاهرة، 2008م، ص: 183

[92] ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 9|211.

[93] انظر: ابن فارس، أبي الحسين أحمد(ت 395)، ***معجم مقاييس اللغة***، د ط، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، 1399هـ-1979م، 5| 428-429.

[94] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ)، ***لسان العرب*** ، دط، دار صادر- بيروت، د ت ، 1| 170.

الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾(62: الواقعة)، وقال تعالى﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾**(23 الملك)"[95].

ونستنتج مما تقدم أن الإنشاء"دال على بداية الشيء، وتواصل تلك البداية إلى ما بعدها"[96] وحتى اكتماله؛ كأن "يقال في النبات أنه تعالى أنشأه، بمعنى: النمو والزيادة إلى وقت الانتهاء[97]. وهذا النمو يكون بالتدرج حتى اكتماله وظهوره وارتفاعه؛ كما أنه ليس أصلاً، فهو متكون من آخر فتحول من شيء بفعل عوامل إلى شيء آخر؛ كالسحاب مثلاً، تحول من ماء بفعل عوامل كالحرارة مثلاً إلى بخار حتى صار سحاباً؛ لذلك قال تعالى :﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾** (الرعد:1)، وكذلك قوله تعالى :﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾** (الأنعام:١٤١).فالجنات هي البساتين من أشجار وزروع أصلها من بذور نمت بالتربية والعناية والرعاية وتدرجت في النمو وارتفعت سيقانها وظهرت أوراقها وأصبحت جنات.

ولا يراد بالإنشاء كما معنى" الولادة والخلق؛ لأنّ ذلك أمر مستمرّ في البشر لا ينتهي، وليس فيه عظة ولا تهديد للجبايرة المشركين "[98]. ومن ثم، فإن الملحظ أن لفظ الإنشاء يجيء في سياقات الامتنان وفيه تذكير بنعم الله على الإنسان وبأصله، كما في الآيات السابقة. "فخلاصة الدلالات أن الإنشاء منه دلالتان، الأول: بدء في الشيء، والثانية: تنمية الشيء وتعده بالرعاية"[99].

الخلق والفطر

" الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك: الفطر من الصوم.. والفطرة (الخِلقة)"[100]، وفي (القاموس المحيط)" الفطر: الشق، ج: فطور.. وفطَرَه يفطِرُه

---

[95] انظر: الأصفهاني، الراغب، ***مفردات ألفاظ القرآن***، ص: 807.

[96] حمودي، هادي حسن، ***موسوعة ألفاظ القرآن الكريم***، د ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة(إيسيسكو)- الرباط، 1432هـ- 2008م،2| 387.

[97] انظر: الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر(604)، ***تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب***، ط1، دار الفكر- بيروت، 1401هـ-1981م، 13/ 108.

[98] ابن عاشور، ***تفسير التحرير والتنوير***، 7/ 140

[99] الغيلي ، ***من أفعال الخلق في القرآن الكريم***، ص:184.

[100] ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***،4| 510.

ويَفْطُره: شقّه... وفطر الله الخلق: خلقهم وبَرَأهم، وفطر الأمر: ابتدأه، وأنشأه"[101]. وفي الأساس:" فطر الله الخلق وهو فاطر السماوات: مبتدعها، وافتطر الأمر: ابتدعه"[102]." وفَطْرُ الله الخلقَ، وهو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة متوشحة لفعل من الأفعال"[103].

والفرق بين هذه اللفظة ولفظة الخلق" أن الفَطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، وكأنه شق عنه فظهر،وأصل الباب: الشق، ومع الشق الظهور، ومن قيل تفطر الشجر إذا تشقق بالورق، وفطرتُ الإناء شققته، وفطرالله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم، كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر"[104]. أي أنه" دال على تجسيد شئ وتحديده وفصله عن أي شي آخر"[105]، كما يدل على الأصالة والابتداء في الخلق، لذا، نلحظه غالبا يسند إلى السموات والأرض، مثل قوله تعالى:﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا**﴾(79 الأنعام)، وقوله تعالى:﴿**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾(101 يوسف).أما إذا أسند إلى الإنسان أو البشر، فتعني"الطبيعة التي أودعها الله في تكوين(الإنسان) منذ خلق الله آدم، وخلق منه ذريته، وأشهدهم على أنفسهم"[106]

مثل قوله تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾(30 الروم)، وقوله﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾(51 الإسراء).

كما أنه لا يأتي في بيان أطوارها؛ لأن المختص في ذلك هو لفظ(الخلق)، بل يأتي في بدء خلقه فحسب، كقوله تعالى: ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾(51 الإسراء).

لذلك نجد القرآن الكريم عندما يتحدث عن مدة خلق السماوات والأرض في ستة أيام، يأتي بلفظ (خلق)، ولا يصح القول: فطر السماوات والأرض في ستة أيام، بل: فطر السماوات والأرض، فهو ينصرف إلى بدء خلقها أول مرة. كما لا يستخدم في مواطن بيان أطواره، كأن يقال:

---

[101] الفيروز أبادي، ***القاموس المحيط***، 1253.

[102] الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد(538هـ)، ***أساس البلاغة***، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت ، 1419هـ- 1998م، 2| 28.

[103] الأصفهاني، الراغب، ***مفردات ألفاظ القرآن***، ص: 640.

[104] العسكري، ***الفروق اللغوية***، ص: 133-134.

[105] حمودي، **موسوعة ألفاظ القرآن الكريم**، 2| 168.

[106] الشعراوي، محمد متولي(ت 1998م)، ***تفسير الشعراوي أو خواطري حول القرآن الكريم***، د ط، أخبار اليوم- القاهرة، 1991م،18| 11418.

فطر الله الإنسان من تراب ثم نطفة..، بل يقال: فطر الله الإنسان، أي: بدأ خلقه، ولا يقال: سيعيد الله فطر الإنسان، بل يقال: سيعيد الله خلق الإنسان[107].

ألفاظ في أطوار خلق الإنسان وتكوينه

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾(14 نوح). فالطور في الآية الكريمة تعني"طوراً بعد طور، والنقل من حال إلى حال.. خلق الناس من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم جعل المضغة عظما، وكسا العظم لحما.."[108].

التراب والطين

المتأمل في الآيات التي وردت فيها هاتان اللفظتان في القرآن الكريم والمتعلقة بالخلق والتكوين، ليلحظ أن النظم القرآني في إشارته لبدء خلق الإنسان يؤثر استعمال التراب تارة في مواضع، والطين في مواضع أخرى؛ من ذلك قوله تعالى:﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾(آل عمران: 59) ، وقوله:﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ**﴾(37 الكهف)، وقوله:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾(5 الحج)، وقوله:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾(2 الروم)، كما نلحظ أنه عندما يريد القرآن لفت الأنظار إلى وحدانيته تعالى، ودحض من يزعم بعدم وجود البعث والكفر باليوم الآخر، فغالباً ما يؤثر بلفظ التراب. فمثلاً، عند دحضه لمن يزعم بألوهية عيسى(عليه السلام)، كان الأنسب استعمال لفظ التراب لإثبات بشريته كما في آية آل عمران:﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾، فهذه الآية جاءت في بيان شأن نبي الله" عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم، وقوله ﴿**خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم، أي خلق آدم من تراب، ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى...فهو مثيله في أحد الطرفين"[109]."وعبر بالتراب دون الماء والطين والحمأ وغيره كما في غير هذا الموطن، لأن التراب

---

[107] انظر: الغيلي، ***من أفعال الخلق في القرآن الكريم*** ، ص: 132-133.

[108] انظر: ***معاني القرآن وإعرابه***، ط1 ،إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج(ت311هـ) ، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ، 1408هـ- 1988م، 5| 229..

[109] الزمخشري، ***الكشاف***، ص: 174.

أغلب أجزائه ولأن المقام لإظهار العجب، وإبداع ما أسكنه أنواع الأنوار بالهداية والعلوم الباهرة من التراب الذي هو أكثف الأشياء أغرب كما أن تغليب ظلام الضلال على الشياطين من كونهم من عنصر نير أعجب"[110].

وكذلك أوثر(التراب)في آية الحج ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ**﴾ التي كانت في معرض الرد على المشككين في قضية البعث؛ من أجل أن يكون دليلاً على صحة البعث.

فاختيار(التراب) في مواطن الحديث عن البعث والرد على منكرينه أليق وأنسب من اختيار الطين؛ لأن الطين لا يصير طيناً إلا بعد أن يختلط بماء، والماء فيه أسباب الحياة، قال تعالى﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(30 الأنبياء)، وهذه أمور حسية، مشاهدة من قبل هذا الإنسان الكافر والجاحد؛ من أجل أن يتفكر في أمر البعث. فإذا"كان أصلهم قد أنشىء من تراب، فكيف ينكرون إمكان إعادة كل آدمي من تراب"[111].

وقيل إنما عدل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف؛ وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية، أتى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فلهذا الإتيان بلفظ التراب أمسّ في المعنى من غيره، من العناصر، ولما أراد سبحانه الامتنان على بني إسرائيل، أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير؛ تعظيما لأمر ما يخلقه بإذنه، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به[112].

---

[110] البقاعي ، تفسير **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 4| 425-426.

[111] ابن عاشور، ***تفسير التحرير والتنوير***، 23| 95.

[112] انظر: الزركشي، محمد بن عبدالله(ت794هـ)، ***البرهان في علوم القرآن***، دط، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م، ص: 860.

النطفة

تشير في عموم معناها إلى الماء، وهي من"نَطَفَ-الماء-ينطِف، وينطُف، أي: قطر"[113]، وأصلها"الماء الصافي، قل أو كثر، والجميع: النُّطف والنطاف"[114]، "وسُمي المنيّ نطفة لقلته"[115]،" وتطلق النطفة وتعني أيضاً "ماء الرجل الذي يتكوّن منه الولد"[116]. ولم ترد في القرآن الكريم إلا لتعبر عن ماء الرجل[117]، من ذلك قوله تعالى﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ (4 النحل).

و قد آثر القرآن استخدام لفظ(الماء) على النطفة في بعض المواضع، وجاء موصوفاً تارة بالدافق، كما في قوله تعالى﴿ **خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ** ﴾(6 الطارق)، وتارة بالمهين، مثل قوله تعالى﴿**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**﴾ (20 المرسلات)، وتارة على إطلاقه، كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**﴾(45 النور).

وعندما نتأمل المواضع التي جاء فيها لفظ(النطفة)، نجده يجيء في سياق بيان قدرة الله تعالى في خلق الإنسان، وإعادة خلقه يوم القيامة، وفي هذه الحالة، يأتي في سياق ذكر كل الأطوار، بدءاً من التراب أو الطين ومروراً بها ومن ثم العلقة، ثم المضغة فالعظام ..كمثل قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**

---

[113] انظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم(ت276هـ)، ***أدب الكاتب***، د ط، شرح:أ.علي فاعور، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، دت، ص: 311.

[114] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ***كتاب العين***،4| 236. وكذا في(***الصحاح***)، للجوهري،ص:434 وفي(***اللسان***) لابن منظور، 9|335. وانظر: تفسير الآلوسي، 14|20.

[115] ابن منظور، محمد بن مكرم، ***لسان العرب***،9|335. ومن معاني النطفة ذات الدلالة العلمية، ما قيل أنها " المادة المنوية التي تركب منها الجينات، ومنها يتكون الجنين، وجاء اللفظ في سياق بيان مراحل خلق الإنسان". انظر: موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم، د ط، هادي حسن حمودي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(إيسيسكو)- المغرب، 1432هـ-2011م، 2|393.

[116] الزبيدي، محمد مرتضى، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، د ط، تحقيق: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام- الكويت، 1408هـ-1987م، 24| 419.

[117] انظر: الأصفهاني، ***مفردات ألفاظ القرآن***، ص: 811. وتفسير (***روح المعاني***) للآلوسي، تحقيق: زهير القاسم وآخرون، 14| 20.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)﴾(المؤمنون)، أو مع التراب فحسب، مثل قوله تعالى﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾(11 فاطر). وعندما يأتي السياق في" بيان طبيعة الإنسان الجاحدة"[118]، الناكر لأنعم الله تعالى، فإن القرآن يؤثر استعمال لفظ النطفة، كقوله تعالى﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾(4 النحل)؛ لتذكيره بأصل خلقته وهو في عنفوان خصومته وكفرانه النعم، وأنه مخلوق من هذه النطفة المهينة ؛ فكأنه تعالى "يشير إلى النطفة التي هي أول خلقه"[119]؛ " دفعاً للتكبر والتعالي عند التأمل في مادة الخلق المهينة"[120]. وتنكير لفظ(من نطفة) في هذا السياق- عموماً- له دلالة دقيقة، من إبراز بساطة هذا الخلق على الله، وتكريمه لهذا الإنسان الذي وجد من نطفة، ثم يتكبر ويتعالى على الله ويجحد فضل الله.

وعندما نمعن النظر في الآيات التي جاءت فيها عبارتا (الماء المهين والماء الدافق)، نلحظ كأنها توضح طبيعة هذه النطفة، فصفة" هذا الماء لا تتضح من اللفظ المجرد(النطفة)، ولذلك كان التعبير بلفظ(ماء مهين) واضح الدلالة والصفة لبيان طبيعة هذا الماء، فهو ماء مهين، اي ضعيف قليل"[121]. كما تتجلى حقيقة أخرى لهذا الماء عند وصفها بالماء الدافق، ألا وهي الإشارة إلى مكان خروجها، وهو من بين الصلب والترائب، وهي إضافة جديدة في بيان حقيقتها. إذ قال سبحانه:﴿**خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ(6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7)**﴾(الطارق)."ووُصف أنه يخرج من(بين الصلب والترائب)؛لأن الناس لا يتفطنون لذلك. والخروج مستعمل في ابتداء التنقل من مكان إلى مكان ولو بدون بروز، فإن بروز هذا الماء لا يكون من بين الصلب والترائب"[122].

---

[118] شكري، حنان، ***قراءة نصية أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم- الأرض ومفرداتها نموذجا***، مكتبة الآداب- القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م، ص: 116.

[119] عبد الدائم، أحمد بن يوسف المعروف بـ(السمين الحلبي) ت 756هـ، ***عمدة الحفاظ في تمييز أشرف الألفاظ***، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج4، دار الكتب العلمية- بيروت، 1417هـ-19996هـ، 4| 121.

[120] أبو صعيليك، حامد علي، ***ألفاظ الخلق والنشأة في القرآن الكريم***، مقالة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد(9) العدد(1) صفر 1434هـ/كانون الثاني، 2013م، ص: 346.

[121] شكري، حنان، ***قراءة نصية أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم، ص:*** 127.

[122] ابن عاشور، محمد الطاهر، ***تفسير التحرير والتنوير***، 30| 262.

وإيثار الماء الدافق هو" وصف لطبيعة هذا الماء الدافق، التي قد لا تستوعبها كلمة(نطفة)؛ ولهذا أوثر ذلك التركيب اللغوي"[123]. "ومعنى(دافق)خارج بقوة وسرعة، والأشهر أنه يقال على نطفة الرجل"[124]؛ لأنه هو الظاهر للعيان. ولا يستبعد أن المراد بالماء أيضاً هو ماء المرأة، فيكون هناك ماءان؛ ماء الرجل وماء المرأة[125]. "ولم يقل ماءين، إشارة إلى أنهما يجتمعان في الرحم، ويمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماءً واحدا"[126].

العلقة

الأصل في معنى العلق هو الدم، ورد في كتاب العين أن العلق هو"الدم الجامد قبل أن ييبس، والقطعة علقة، والعلقة: دُوَيِّبة حمراء تكون في الماء، تجمع على علق"[127].

وتدل مادة(علق) في اللغة كما وردت في كتب المعاجم على التعلق بالشيء، والتشبث فيه ولزومه، والالتصاق والنشوب[128]. وقد أفرد صاحب اللسان- على سبيل المثال- عشر صفحات في

---

[123]. شكري، حنان، ***قراءة نصية أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم***، ص: 127.

[124] ابن عاشور، محمد الطاهر، ***تفسير التحرير والتنوير***، 30| 262.

[125] ومما يدل على وجود ماء للمرأة، ما جاء في الحديث"أنّ أُمَّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"إِذَا رَأَتْ ذَلِكِ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ"، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ،قَالَتْ : وَهَلْ يَكُونُ هَذَا ؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :نَعَمْ ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ ، إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ ، فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ ". النيسابوري، مسلم بن الحجاج(261هـ)، ***صحيح مسلم***،ط1،كتاب الحيض(3)، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها(7)، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة،دار طيبة- الرياض،1427هـ-2006م،1| 153.

[126] البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر(885هـ)، ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***، دط، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، 1404هـ- 1984م، 21| 378.

[127] الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت 170هـ)، ***كتاب العين***، ط1، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 1424هـ-2002م ، 3| 216.

[128] ينظر: ***كتاب العين***، الخليل بن أحمد الفراهيدي،3| 216-219. ***والصحاح***، لإسماعيل بن حماد الجوهري، 4| 1529-1533. ***وأساس البلاغة***، للزمخشري، الجزء الأول، 674-675. ***والقاموس المحيط***، للفيروز أبادي، 1133-1134. ***وتاج العروس***، لمحمد مرتضى الزبيدي، 26| 181-202.

بيان معاني الكلمات التي من أصل (ع ل ق)، وهي مابين معان حسية وبين معان معنوية[129]؛ من ذلك: النشوب في الشيء، ومنه الهوى والحب، والشوذر أي: الملحفة، والنفيس من المال ، والدواهي والمنايا، والخصومة، والمرأة إذا حبلت، وكذلك الخصومة والمنية.

ويذكر الرافعي أن العرب"لم يكن يعرفون من كلمة (العلقة والعلق) إلا أنها الدم الجامد"[130]، وتشير موسوعة معاني ألفاظ القرآن إلى أن الأصل في (علق) أنه" يدل على التزام شيء بشيء أكثر علواً منه، أي أن يتعلق به، ثم انتقل إلى معنى التزام شيء بآخر بغض النظر من ارتفاعه، كما تقول: علق الدم بثوبه، ومن هنا جاء معنى(العلقة) وهي النطفة التي تتعلق برحم المرأة، فيبدأ بها تكون الجنين"[131].

وحول إيثار القرآن للفظ(العلق) دون غيره من الأطوار في أول آية نزلت على النبي ﷺ مع أنه يجيء في الطور الثالث بعد الطين والنطفة، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾(المؤمنون: 12-14). فلو نظرنا إلى اللفظة من منظور دلالاتها المعجمية ، نجدها تختزل في داخلها كمّاً كبيرا من صور حياة الإنسان الدنيوية، فكأن حياته عبارة عن مجموعة تعلقات في هذه الحياة، بدءًا من كونه علقة في رحم أمه حتى موافاته المنية. فبالنظر إلى ما أورده معجم لسان العرب من معان في مادة (علق)، سواء أكانت حسية أم كانت معنوية، نجدها " تضمنت بشمولية أي إنسان في وجه الأرض من حيث أصله وفصله ونوعه وصفاته وطباعه وسلوكه.. فقد وصفت جميع صفات الإنسان التشريحية والفسيولوجية والنفسية والعاطفية والإجتماعية.. منذ كان جنينياً في

---

[129] انظر: ***لسان العرب***، محمد بن مكرم ابن منظور، 10| 261-270. ولنظر أيضا(***كتاب العين***) للفراهيدي، 2| 216-217.

[130] الرافعي، مصطفى صادق، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، ط9، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ-1973م، 136.

[131] حمودي، ***موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم***، 2| 67.

بطن أمه حتي صار رجلاً يحب ويكره، يجادل ويخاصم، يتعلق وقد يلتوي، يتعود ويتعلم.. فإذا حاولنا ترتيب هذه المعاني ووصفها في تصنيفات جديدة فسنرى العجب.."[132].

كما نلمح أن اختيار هذا الطور في أول الوحي من بين أطوار قبلية وبعدية جاءت متناسقة مع مطلع السورة الذي يحث على القراءة، ومن ثم، فكأن هناك إيحاءً بأنه سبحانه قد(علَّق) هذه اللفظة ليترك للإنسان أن يطلق ذهنه وعقله ليستكشف عن طريق القراءة والعلم عن ماهية حقيقة خلقته، ليصل إلى حقيقة الرب المعبود، سيما أنها وقعت بين آيتين تحثان على القراءة بصيغة الأمر(إقرأ) مبالغة في الحث على القراءة﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾(العلق:1)، ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾(العلق:3). فتكرير(اقرأ):"تكرير للمبالغة"[133]. ولعل استخدام كلمة الرب ﴿..**بِاسْمِ رَبِّكَ**..﴾ في مطلع السورة تؤكد على أن الهدف من هذا العلم هو الوصول إلى معرفة الرب المستحق للعبادة. كما أن اختيار كلمة الإنسان، يشعر بأن كل إنسان هو مَعْنِيٌّ بطلب المعرفة دون استثناء، بعيدًا عن اعتقاده الديني، فالعلم يزيد المؤمن إيمانا ويقينا، وغير المؤمن يصل به إلى معرفة الرب المستحق للعبادة. إضافة إلى ما فيه من معاني التكريم له، فعليه بالبحث والعلم لينال كرم الله في المعرفة وغيرها، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾(العلق:3). كما أن وقوع هذا الطور بين النطفة والمضغة يعطي مجالاً للتعلم والدراسة بدءًا بما قبلها ومرورًا بها إلى ما بعدها من أجل معرفة حالات تخلّق الإنسان وهو في الرحم، لأنها جميعًا متاحة للكشف والتحليل والاختبار، على عكس لو كان الاختيار على النطفة مثلاً فمن شبه الاستحالة الكشف عن كيفية تكونها مما قبلها ألا وهو الطين.

النطفة والمني

عبر القرآن في مواضع عن النطفة بالمنيّ، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (45)مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46)** ﴾(النجم)، وقال:﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى**﴾(القيامة:37). والمنيّ هو"ماء الرجل من شهوته الذي يكون منه الولد، والفعل: أمنيت"[134]، ويطلق أيضاً على"ماء

---

[132] خليل، إبراهيم. ***لماذا أسلم صديقي، ورأي الفاتيكان في تحديات القرآن***. د ط. مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة، د ت، ص: 117.

[133] البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد(ت691)د، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)***، ط1، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، د ت، 5| 325.

[134] الفراهيدي، ***كتاب العين***، 4| 128.

الرجل والمرأة"[135]."وقد يقال للرجل: مَنى فأمنى، ومَذى فأمذى، فأمنى أكثر من منى، وأمذى أكثر من مذى"[136]. وهو"دال على إيجاد شيء أو الرغبة في إيجاده"[137]. والفرق بين المني والنطفة كما ذكره صاحب الفروق هو أن"قولك:النطفة يفيد أنها ماء قليل،والماء القليل تسميه العرب النطفة، يقولون: هذه نطفة عذبة، أي: ماء عذب، ثم كثر استعمال النطفة في المني حتى صار لا يعرف بإطلاقه غيره، وقولنا: المني، يفيد أن الولد يقدر منه... ومنه المنَا الذي يوزن به؛ لأنه مقدر تقديراً معلوما"[138]. أما علمياً، فإن (المني) يطلق"على الإفرازات التناسلية للرجل، والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنوية"[139]،"ويتخلق منها الجنين، وبالتالي يسمى ماءً على وجه التحديد في مجال علم الأجنة وفقاً لما جاء في القرآن... أما الماء الذي يسيل من إحليل الرجل عند شهوته قبل خروج المني، والذي لا يحتوي على الحيوانات المنوية، فليس له أثر يُذكر على عملية تخلق الجنين"[140]، وهو ما يُعرف بـ(المذي). ويبين قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾(37 القيامة) فجعل النطفة جزءاً من المنيّ"[141]وهي" ليست المني كله... ويكون معنى الآية: ألم يك الإنسان قطرة من مني يمنى"[142]، وهو ما يتوافق مع المعنى الأصيل للنطفة من أنها الماء القليل.

إذن، فالذي يظهر"أن لفظ(مني) لفظ خاص؛ لأنه وُضع للسائل الذي يخرج بشهوة الإنسان"[143]، ورغبة منه، ومنه جاء لفظ الاستمناء، يقال" استمنى؛ أي استدعى خروج المني"[144].

---

[135] انظر: الفيروزأبادي، ***القاموس المحيط***، ص: 1559.

[136] الفراء، يحي بن زياد(ت207هـ)، ***معاني القرآن***، ط3، عالم الكتب- بيروت، 1403هـ-1983م،3|128.

[137] حمودي، هادي حسن، ***موسوعة معاني ألفاظ القرآن الكريم***، 2| 333.

[138] العسكري، ***الفروق اللغوية***، ص: 311-312.

[139] البار، محمد علي، ***خلق الإنسان بين القرآن والطب***، ط4، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، *1403هـ- 1983م* ، ص: 110.

[140] انظر: الأغر، كريم نجيب، ***إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة والرضاعة وبدء الخلق***، دار المعرفة- بيروت، ط1، 1425هـ-2005م،ص: 73.

[141] البار، ***خلق الإنسان بين القرآن والطب***، ص:111.

[142] الأغر، ***إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة والرضاعة وبدء الخلق***، ص: 106.

[143] المرجع السابق، ص: 72.

[144] ابن منظور، ***لسان العرب***، 15| 293.وينظر أيضاً ***البحر المحيط***، للفيروز أبادي، ص: 1559.

إذن،"فالسائل الذي يخرج من إحليل الرجل يقدِّر الرجل نزوله، ويتمنى حصول الشهوة بنزوله، ولذلك سمي منياً على وجه التحديد وفقا للمعنى اللغوي"[145].

المضغة

ذكرت اللفظة في موضعين، في سياق بيان تحدي منكري البعث وبيان قدرة الله تعالى في خلق الإنسان، وفيه زيادة في الوصف، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾(5الحج). ثم في بيان أطوار خلقه. قال تعالى:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)**﴾(المؤمنون).

والمضغة في المعاجم العربية تعني" قطعة لحم، وقلب الإنسان مضغة من جسده، والمضغة: كل لحم يُخلق من علقة، وكل لحمة يفصل بينها وبين غيرها"[146]. وأصلها من مضغ الطعام، و"مضغه كمنعه ونصره، يمضغه مضغاً، لاكه بسنه طعاماً أو غيره"[147]، وفي المفردات" القطعة من اللحم قدر ما يمضغ ولم ينضج" [148].

وعند التأمل في المعاني السابقة، نلحظ الدقة في اختيار اللفظة ذاتها، كونها تكشف" دقة التصوير القرآني في وصف هيئة الجينين بالمضغة"[149]؛ إذ استعملها القرآن" لتصف الجنين في هذه المرحلة، حيث يبدو كقطعة من لحم، حجمها بمقدار ما يمضغ"[150].

---

[145] الأغر، ***إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة والرضاعة وبدء الخلق***، ص: 73.

[146] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 4|149.

[147] الزبيدي، محمد مرتضى، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تحقيق: مصطفى حجازي، د ط،1405هـ-1985م، 22|568.

[148] الأصفهاني، ***مفردات ألفاظ القرآن***، ص: 770.

[149] أبو صعيليك، حامد علي، ***ألفاظ الخلق والنشأة في القرآن الكريم***، ص: 349.

الخاتمة

وبعد هذا العرض السريع في رياض البيان القرآني، يمكن أن نلخص أبرز النتائج في النقاط الآتية:

1- دقة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم، وإيثار أحدها على نظيرتها، يزيد العاقل يقينًا بإعجاز القرآن البياني، وأنه منزل من لدن حكيم خبير.

2- أسلوب القرآن في انتقائه للمفردات ووضعها في موضعها اللائق بمعناها، وبما يؤدي المعنى المراد بها، وبحيث لا تستطيع مفردة أخرى أن تؤدي نفس الغرض من المعنى يجعلنا نؤكد بعدم وجود الترادف بين الألفاظ القرآنية.

3- للسياق دور مهم في الكشف عن معاني الألفاظ ودلالاتها.

4- تحليل المعاني المعجمية يساعد في الكشف عن أدق المعاني التي تتواءم مع دلالة الآية.

التوصيات

1- العمل على تشجيع دارسي باللغة العربية والمشتغلين بها في الأرخبيل الملايو على زيادة الاهتمام بالبلاغة العربية والتعمق في دراستها.

2- العمل على تكثيف التعاون ما بين الباحثين في المجالات العلمية والإعجاز العلمي في القرآن وبين المختصين بعلوم بلاغة القرآن، إذ لا غنى عن الاستعاضة بعلوم البلاغة في الكشف عما يهمهم في مجالهم العلمي.

---

[150] فياض، محمد، ***إعجاز القرآن في بيان خلق الإنسان***، دار الشروق- القاهرة، ط1، 1420هـ-1999م، 91.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأغر، كريم نجيب، ***إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة والرضاعة وبدء الخلق***، ط1، دار المعرفة- بيروت، 1425هـ-2005م.
- الأصفهاني، الراغب(ت502هـ)، ***المفردات في غريب القرآن***، د ط، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة، د ت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر(ت1393هـ)، ***تفسير التحرير والتنوير*** ، د ط، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.
- ابن فارس، أبي الحسين أحمد(ت 395)، ***معجم مقاييس اللغة***، د ط، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، 1399هـ-1979م.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم(ت276هـ)، ***أدب الكاتب***، د ط، شرح:أ.علي فاعور، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، د ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711هـ)، ***لسان العرب*** ، د ط، دار صادر- بيروت، د ت .
- الآلوسي. شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله(1270هـ)، ***روح المعاني في معرفة القرآن العظيم والسبع المثاني***، ط 1، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1431هـ- 2010م.
- البار، محمد علي، ***خلق الإنسان بين القرآن والطب***، ط4، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، 1403هـ- 1983م .
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر(885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د ط، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، 1404هـ- 1984م.
- البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد(ت691)، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)***، ط1، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، د ت.
- حمدان، نذير، ***الظاهرة الجمالية في القرآن***، ط1، دار المنايرة – جدة، 1412هـ-1991م.

- حمودي، هادي حسن، ***موسوعة ألفاظ القرآن الكريم***، د ط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة(إيسيسكو)- الرباط، 1432هـ- 2008م.
- خليل، إبراهيم، ***لماذا أسلم صديقي، ورأي الفاتيكان في تحديات القرآن***، د ط، مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة، د ت.
- داود، محمد محمد، معجم ***الفروق الدلالية في القرآن الكريم***، د ط، دار غريب للطباعة- القاهرة، 2008م.
- الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر(604)، ***تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب***، ط1، دار الفكر- بيروت، 1401هـ-1981م.
- الرافعي، مصطفى صادق، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، ط9، دار الكتاب العربي- بيروت، 1393هـ- 1973م.
- الزبيدي، محمد مرتضى، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، د ط، تحقيق: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام- الكويت، 1408هـ-1987م.
- الزجاج، إبراهيم بن السري(ت311هـ) ***معاني القرآن وإعرابه***، ط1 ، ، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ، 1408هـ- 1988م.
- الزركشي، محمد بن عبدالله(ت794هـ)، ***البرهان في علوم القرآن***، د ط، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد(538هـ)، ***أساس البلاغة***، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت ، 1419هـ- 1998م.
- الزمخشري، محمود بن عمر(ت538هـ)، ***تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل***، ط3، دار المعرفة- بيروت، 1430هـ-2009م.
- الشعراوي، محمد متولي(ت 1998م)، ***تفسير الشعراوي أو خواطري حول القرآن الكريم***، د ط، أخبار اليوم- القاهرة، 1991م.
- شكري، حنان، ***قراءة نصية أسلوبية للآيات الكونية في القرآن الكريم- الأرض ومفرداتها نموذجا***، ط1، مكتبة الآداب- القاهرة، 1431هـ-2010م.

- عبد الدائم، أحمد بن يوسف المعروف بـ(السمين الحلبي) ت 756هـ، ***عمدة الحفاظ في تمييز أشرف الألفاظ***، ط1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، 1417هـ-19996هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد (ت 505هـ)، ***المقصد الأسني في شرح معاني الأسماء الحسنى***، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت، 1424هـ-2003م.
- الغيلي، عبد المجيد بن محمد علي، ***من أفعال الخلق في القرآن الكريم***، منشور على موقع المؤلف (رحى الحرف)، 1434هـ-2013م.
- الفراء، يحي بن زياد(ت207هـ)، ***معاني القرآن***، ط3، عالم الكتب- بيروت، 1403هـ-1983.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت 170هـ)، ***كتاب العين***، ط1، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، 1424هـ-2002م.
- فياض، محمد، ***إعجاز القرآن في بيان خلق الإنسان***، ط1، دار الشروق- القاهرة، 1420هـ-1999م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ)، ***القاموس المحيط***، د ط، تحقيق: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث- القاهرة، 1429هـ- 2008م.
- القوجوي، محمد بن مصلح الدين مصطفى(915هـ)، ***حاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي***، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1419هـ-1999م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج(261هـ)، ***صحيح مسلم***، ط1،كتاب الحيض(3)، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها(7)، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة- الرياض،1427هـ-2006م.
- ياسوف، أحمد، ***جماليّات المفردة القرآنية***، ط 2، دارالمكتبي- دمشق، 1419هـ-1999م.

الدوريات

- أبو صعيليك، حامد علي، ***ألفاظ الخلق والنشأة في القرآن الكريم***، مقالة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد(9) العدد(1) صفر 1434هـ/كانون الثاني، 2013م.

- القنيعير، حسناء عبدالعزيز، ***الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ المتشابهة من خلال القرآن الكريم***، مقالة، جريدة الرياض، العدد: 16022، الأحد 15 جمادى الآخرة 1433هـ- 6 مايو 2012.